

التفسير : ولما قدم تعالى ذكر الأصناف الأربعة ، وذكر كل صنف

بما يستحقه من مدحٍ وقُدْحٍ ، رجع الجميع بطريقه الإستعطاف فضلاً
منه ومِنَّةً ، وليلاً يكون حرّاً وجاعاً يفتضيه الرِّفقُ بالجميع فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ » خطاباً للعموم المكلفين من عابِدٍ وجاهِدٍ « اعْبُدُوا

رَبَّكُمْ » واعرفوه أنه هو « الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ » « الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ »

من القرون لأجل العبادة ، فإن عبد موه على أنه خالقكم ، مخلصين في

عبادتكم ، لا لغرضٍ يستوئها من الطمع في الجنة وخوف من النار « لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ » ، أي تصلون إلى درجة المتقين المكرمين ، المشار لهم بقوله :

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » ، فالمتقي حقيقة هو من يتقى الله

لذاته ، والمتقي مجازاً هو من يتقيه لناره ، ولهذا دعى سبحانه وتعالى

عموم المكلفين إلى أعلى درجة التقوى ، فكانه تعالى يقول فإن استلمتم

أن تتقوني على أي أهل التقوى فهو الأولى ، وإلا فاتقوا النار التي وفودها

الناس والحجارة ، والمعنى أن الناس المتقدين لله على ثلاثة أقسام :

قسم اتقاه لله سبحانه وتعالى واتقاه على أنه أهل للتقوى ، وأهل أن

يُعِيدُ بِمَوْجِبِ حَمْدِهِ عَايَ الْعَبْدِ وَنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ الَّتِي مِنْ أَعْظَمِهَا إِخْرَاجَهُ
مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ ، فَهُوَ فِي أَدَاءِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ مُرْتَهِنٌ ، وَإِنْ
اسْتَعْرَقَ الْأَبَدَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ أَهْلُ الْمَرْوَعَةِ ، وَلِهَذَا دَعَى
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِذِهِ النِّعْمَةِ لَعَلَّ تَكُونَ عِبَادَةُ الْكُلِّ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .
الْقِسْمُ الثَّانِي وَهُوَ أَهْلُ الطَّمَعِ فِي الْجَنَّةِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ مَا انْتَحَبَ الْمُخْلِصِينَ
مُحَضَّرَتِهِ وَشَرِدَ الْبَاقُونَ عَنْ بَابِهِ نَصَبَ شَبَكَةٍ لِيُقْتَصَبَ بِهَا مَنْ غَلَبَ
الطَّمَعُ عَلَيْهِ ، فَوَضَعَ الْجَنَّةَ فِيهَا عَيْنَ جَارِيَةٍ ، فِيهَا أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ، فِيهَا
نَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ، فِيهَا زُرَّابِي مَبْتُوثَةٌ ، فِيهَا فَوَاحِكٌ كَثِيرَةٌ ، فِيهَا أَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ ، وَكُلُّ ذَلِكَ رَحْمَةٌ مِنْهُ مَخْلَقَةٌ ، وَلَمَّا وَقَعَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَوُضِعَتْ
فِي أَعْنَاقِهِمْ رِبْقَةُ التَّكْلِيفِ ، وَقَامُوا فِي طَلَبِ الْجَنَّةِ ، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ
فَأَمْسَاهُمْ الصِّيَامَ وَأَعْيَاهُمْ الْقِيَامَ ، فَفَرَّ الْقِسْمُ الثَّلَاثُ خَشِيَةً أَنْ يَحِلَّ بِهِ
مَا حَلَّ بِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعْتَبَرِ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ فِيمَا يَكِيدُ وَنَهَى مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَمَّا
اسْتَقَرَّ الْفَرِيقَانِ عَلَى بَسَاطِ الْعُبُودِيَّةِ وَبَقِيَ فَرِيقٌ هُنَاكَ لَمْ تَقَاوَمَهُ الدَّعْوَى
فَاسْتَرْجَعَهُ تَعَالَى لِصَوْتِ التَّهْدِيدِ وَأَنْوَاعِ الْوَعِيدِ ، فَرَجَعَ بِأَكْيَا حَزِينًا ،

فَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَابِ اللَّهِ، وَالسُّوْطُ مِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
 «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ» مِنْ حُسْنِ الدَّعْوَةِ وَأَسْلُوبِ الإِسْتِجَابِ مَا يُسْتَحْسَنُ
 ذِكْرَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ دُعَاءُ عُمُومِ النَّاسِ، مَعَ أَنَّ فِيهِمُ الْعَابِدِينَ رَحْمَةً بِالْجَاهِدِ
 عَسَى أَنْ يَنْهَضَ بِهِ ضَمِيرُ الْجَمْعِ فَيَدْخُلُ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، بِخِلَافِ مَا لَوْ
 دُعِيَ بِالِإِفْرَادِ، فَقَدْ لَسْتُوحِشٌ غَالِبًا، وَالتَّائِي أَنَّهُ دَعَاَهُمْ لِعِبَادَتِهِ
 بِاسْمِ الرَّبِّ لِأَبْخِرِهِ مِنَ الأَسْمَاءِ، لِمَا بَيْنَ الرَّبِّ وَالمَرْبُوبِ مِنَ الرَّابِطَةِ
 وَالتَّلَازُمِ، فَهُوَ يَمِيلُ إِلَيْهِ بِالطَّبِيعِ غَالِبًا، أَلَا تَرَى أَنَّ الإِنْسَانَ مَهْمَا اشْتَدَّتْ
 أَرْغَمَتُهُ مَرَضٌ أَوْ حَوَّهَ فَأَوْلَى اسْمٍ يَتَلَقَّى بِهِ جَنَانُهُ وَيَلْتَصِقُ بِهِ لِسَانُهُ قَائِلًا:
 يَا رَبِّي، فَكَانَ هَذَا الإِسْمُ ادْعَى فِي انْتِقَادِ المَرْبُوبِ إِلَيْهِ، التَّالِيَةُ أَنَّهُ
 تَعَالَى دَعَى عِبَادَهُ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةِ العِبُودِيَّةِ وَهُوَ
 أَنْ يُعْبَدَ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ خَالِقُهُمْ أَيْ أَدَاءً لِشُكْرِ مَا فِي ذِمَّتِهِمْ، وَإِنْ كَانَ
 هُنَاكَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُعْبَدَهُ بِتِلْكَ الصِّفَةِ فَيَكُونُ مَطْلُوبًا عَلَى كُلِّ
 حَالٍ مَهْمَا أَمَكَّنَهُ، ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ فِي تَعْدِيدِ بَعْضِ النِّعَمِ الَّتِي
 لَسْتُوحِثُ الشُّكْرَ فَقَالَ: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا» أَيْ

صِيْرَهَا لَكُمْ فِرَاشًا إِكْرَامًا لَكُمْ ، مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِفِرَاشٍ ، فِي نَفْسِ الْأَمْرِ
وَمِثْلُ ذَلِكَ كَمَنْ اسْتَصَافَ إِنْسَانًا ، فَمِنَ الْبُرُورِ بِهِ أَنْ فَرَشَ لَهُ مَا هُوَ
أَجَلُّ أَنْ يَكُونَ فِرَاشًا ، وَالْمَعْنَى تُوَخَّذُ مِنْ قَوْلِهِ : « جَعَلَ لَكُمْ » لِأَنَّهَا
بِمَعْنَى صِيْرٍ ، لَا بِمَعْنَى خَلْقٍ ، فَتَكُونُ مِنْ أَوْلَى خَلْقَةِ فِرَاشًا ، فَكَلَّا
إِنَّمَا خَلَقْتَهَا تَقَدَّمَ مَتَى عَاى خَلْقَ الْبَشَرِ بِمَا يَتَعَدَّرُ حَصْرَهُ ، وَهِيَ وَمَنْ سِوَاهَا
مِنَ الْأَجْرَامِ الْعُلُويَّاتِ وَالطِّبَاقِ السَّمَاوِيَّاتِ ، وَالْجَوَاذِبِ الْعَلَكِيَّةِ ، كَانُوا
وَلَنْ يَزَالُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ مُسَخَّرِينَ ، وَإِذْ قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا
طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، قَالَتَا : أَتَيْنَا طَائِعِينَ . وَمِنْ كِرَامَةِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ أَنْ صِيْرَهَا
لَهُ فِرَاشًا كَافِلَةً بِاسْتِقْرَارِهِ تَحْمِلُ مِنْ آدَاءِهِ ، وَتَسْتُرُ مِنْ عَوْرَاتِهِ ، وَلَوْ
تَرَكَّهَا اللَّهُ وَشَأْنَهَا مَعَ الْعَبْدِ لِلْفِطْنَةِ وَخَرَّتْ مِنْ تَحْتِهِ ، أَوْ سَقَطَتْ
السَّمَاءُ كَيْسْفًا عَلَيْهِ لَوْ جُودَ مَخَالَفَةَ لِرَبِّهِ وَمَنْشِئِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَالسَّمَاءُ
بِنَاهَا » ، أَيْضًا أَنْ جَعَلَ لَكُمْ السَّمَاءَ بِمَنْزِلَةِ الْبِنَاءِ ، كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهَا رَأْيَ
الْعَيْنِ ، مَعَ أَنَّ السَّمَاءَ لَيْسَتْ مَرِيئَةً لَكُمْ ، إِنَّمَا الْمَرِيئُ مَا حَوِيَهُ الْبَشَرُ مِنَ
الْفِرَاحِ الْمَوْهُومِ ، وَالسَّمَاءُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ، وَهِيَ الْبَطْفُ مِنْ أَنْ يُلْحَقَهَا

البَصْرُ، وَمِنْ رَأْفَتِهِ تَعَالَى بِكُمْ أَنْ صَبَّرَ لَكُمْ مَا عَلَاكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبِنَاءِ
 لِتَطْمِئِنَّ النُّفُوسُ، بِخِلَافِ مَا لَوْ وَقَعَ الْبَصْرُ عَلَى فِرَاعٍ غَيْرِ مَمْتَنَةٍ
 لَوَقَعَتْ الْوُحْشَةَ، وَطَاشَتِ النُّفُوسُ، فَكَانَتْ رُؤْيَا السَّمَاءِ لَنَا بِمَا
 فِيهَا مِنَ الْجُودِ أَمَّا لَنَا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «الْجُودُ أَمَانٌ لِأَهْلِ
 الْأَرْضِ». ثُمَّ قَالَ: «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»، أَيِ مِنَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
 بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكَوْنُهُ سَمَاءً لَفَةً إِنْ كُلَّ مَا عَلَاكَ فَهُوَ سَمَاءٌ
 «فَأَخْرَجَ بِهِ» أَيِ لِسَبَبِهِ «مِنَ الشَّجَرَاتِ» بِأَنْ أَوْدَعَ فِيهِ سَجَانَهُ
 وَتَعَالَى قُوَّةٌ فَاعِلِيَّةٌ، كَمَا أَوْدَعَ فِي الْأَرْضِ قُوَّةً إِنْغَالِيَّةً، وَبِاجْتِمَاعِ
 الْقُوَّتَيْنِ أُخْرِجَتِ الثَّمَارُ «رِزْقًا لَكُمْ» وَإِنِّعَامِكُمْ، وَالْكَلِّ لَكُمْ، وَإِذَا
 صَحَّ عِنْدَكُمْ مَا قَرَّرْنَاهُ مِنَ النِّعَمِ أَنَّهَا حَصَلَتْ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ «فَلَا تَجْعَلُوا
 لِلَّهِ أَنْدَادًا» أَيِ شُرَكَاءَ «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْوُجُودِ
 وَالْإِحْيَادِ، ثُمَّ أَقُولُ إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَلَغَ فِي تَعْدِيدِ النِّعَمِ إِلَى أَنْ ذَكَرَ
 فِي حَمَلَتِهَا تَوَقُّفَ إِخْرَاجِ الثَّمَارِ عَلَى نَزْوِلِ الْمَاءِ، وَهُوَ بَيَانٌ لَوَجْهِ
 الْحِكْمَةِ فِي نَزْوِلِهِ حَسْبِ أَنْ تَكُونَ ذَرِيعَةً فِي التَّفَلُّقِ بِالْأَسْبَابِ،

فَتَشْتَدُّ بِذَلِكَ الْقَاطِعَةَ ، وَيَسُدُّكَ الْحِجَابُ ، فَجَاءَ مَا يُزِيلُ الْإِسْكَالَ ،
فَقَالَ لَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا أَمِّي شُرَكَاءَ فِي الْأَفْعَالِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى الْمُنْفَرِدُ
بِالْوُجُودِ وَالْإِيجَادِ الْفَعَالِ ، ثُمَّ أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي وَضْعِ الْأَسْبَابِ وَارْتِبَاتِهَا
بِمُسَبِّبِهَا ، مِثْلَ تَوَقُّفِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ عَلَى وُجُودِ الْمَوَادِّ ، كَتَوَقُّفِ الثَّمَارِ
عَلَى تَرْوِيلِ الْمَاءِ مِثْلًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى وُجُودِ الْأَشْيَاءِ بِدُونِ مَوَادِّهِ ،
كَوُجُودِ أَصُولِهَا ، غَيْرَ أَنَّ ارْتِبَاتِ الْأَسْبَابِ بِمُسَبِّبِهَا أَبْلَغُ فِي
الْإِعْجَازِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَرْيَةَ لَيْسَتْ فِي
تَكْوِينِ الْأَشْيَاءِ أَوْ فِي الْخَارِجِ عَلَى نَظَرِ الْعِبَادِ ، إِنَّمَا الْمَرْيَةُ فِي تَكْوِينِ
الشَّيْءِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَقِبَالَةَ نَظَرِكَ ، وَبِالْأَشْيَاءِ الَّتِي عَلِمْتَ أَنَّهَا مَوَادٌّ
لَهُ ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ : إِنْ كُنْتُ فِي رَبِّ مِنَ التَّكْوِينِ فَدُونَكَ الْمَاءُ
وَالطِّينُ وَضَعُ مَا شِئْتُ مِنَ الثَّمَارِ وَالْبَيْنِ ، فَمَا جِئْتُكُ بِهَا مِنْ بَعِيدٍ
فَهَا هِيَ صُنِعَتْ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ شَهِيدٌ ، فَابْصُرْ ، فَابْصُرْ
الْيَوْمَ حَدِيدٌ .

الْإِسْتِنْبَاهُ : يُسَخَّرُ مِنْ قَوْلِهِ : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ » إِلَى قَوْلِهِ :

« وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ » خَمْسَةٌ أَحْكَامٌ :

الأول : علمنا بأن العبادة هي أبلغ داعٍ في حصول التقوى لمن أراد أن يكون من المتقين من قوله : « اعبدوا ربكم » إلى قوله : « تقون » ^{تعلمكم} الثاني : علمنا بأن الله تعالى قد يقبل العبادة من غير المتقين كما يأمرهم بها من دعوته تعالى لهم قبل حصول التقوى منهم ، ولو لم تقبل إلا بها لما كانت علة في وجودها .

الثالث : علمنا بأن الأولى للناس أن يعبدوا ربهم شكراً ، أداءً لواجب ما في ذمتهم من نعم الله أولى من أن تكون عبادتهم لحظاً في الأجل ، كطلب الجنة مثلاً ، من قوله : « اعبدوا ربكم الذي خلقكم » إلى آخره ، حيث استلقتهم لنعمة عليهم ، التي من أعظمها نعمة الإيجاد .

الرابع : علمنا بأن الأولى للمعاصم أن ينقل تلاميذته للبساطين ، ثم المركبات ، ليكون أدعى لفهمهم ، من قوله : « الذي جعل لكم الأرض » إلى آخره ، حيث استلقتهم للإجرام ، ثم إلى كيفية خلق النبات .

الخامس: علمنا بأن التوحيد هو من العبادات التي يوجر عليها
العبد يوم الجزاء، من تفسيره لها تعالى بعد ما طلبها من الناس
بقوله: «فلا تجعلوا لله أندادا».

الإشارة: ترى أن الله تعالى لا يدعو عبادة في الغالب إلا بعرفته
الخاصة، ولهذا فسرت العبادة المدعوون لها بقوله: «فلا تجعلوا
لله أندادا»، وليس المراد بالندبة إلا آخر، فذلك لا يعقل، لأن
المخاطب راجع لأهل العالم، المشار لهم بقوله: وأنتم تعلمون
ومن يجعل مع الله الها لأعالم له^{آخر} وعليه فيكون نهيا للتوجه
أن يرى كينونة لأحد مع الله، فيكون متخذة ندا.

لسان الروح: سألته عن الندية فقال لي: لم يوجد. فقلت: ما بال
وقوع النهي عليه؟ قال: لأنها مكبرة حيث ادعى العبد يجعله
ما عجزت القدرة عن مثله.

التفسير: وبعد توجه الخطاب لعنوم المكلفين استلفتة
لبعضهم ممن كان في قلبه ما يحتاج من ريب التزول وبعثة

الْمُرْسُولِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَجْمَلٌ فِي الْخِطَابِ جَبْرًا لِحَوَاطِرِهِمْ وَمَحَافِظَةً عَنْ
 قُلُوبِهِمْ، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ اسْتُلُوبِ التَّبْلِيغِ مَخَاطِبَةُ الْكُلِّ وَإِرَادَةُ
 الْبَعْضِ، فَقَالَ: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ» أَيْ فِي شَيْءٍ «مِمَّا نَزَّلْنَا»
 مِنَ الْكِتَابِ «عَلَى عَبْدِنَا» مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَنَّ قُلُوبَكُمْ
 قَرُبًا تَقْوَلَهُ، أَوْ هُوَ مِنَ الْبَشَرِ، وَعَلَى هَذَا فَالْأَمْرُ أَسْهَلُ «فَأَتُوا
 بِسُورَةٍ مِثْلِهِ»، وَهَذَا أَهْوَنُ شَيْءٍ وَأَبْلَغُ فِي التَّيْسِيرِ، إِذْ أَنْتُمْ
 مِنْ فَصَحَاءِ الْعَرَبِ «وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، وَاسْتَعِينُوا
 بِمَنْ سِئْتُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، مَهْمَا أَمَكَنَّكُمْ ذَلِكَ «فَإِنْ لَمْ
 تَفْعَلُوا» كَمَا هُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ «وَلَنْ تَفْعَلُوا» فِي الْمُسْتَقْبَلِ
 أَيْضًا، وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ، فَبَعْدَ مَا قَرَّرَ إِعْجَازَهُمْ
 عَلَى أَنَّ لَا يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ فِي ذَلِكَ الْحَالِ تَقَى عَنْهُمْ
 وَجُودَ الْإِثْبَانِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَنْ
 يَصْدُرَ مِنْهُ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ قُرْآنًا مِنْ يَتَجَاسَرُ لِأَنَّ يَأْتِي بِسُورَةٍ مِنْ

مِثْلِهِ، أَوْ بِمَا يُقْرَبُ مِنْ شَكْلِهِ، وَالتَّارِيخُ أَعَدَّهُ شَاهِدًا، فَدَلَّ هَذَا
 عَلَى صِدْقِ الْقُرْآنِ بِأَبْلَغِ دَلَالَةٍ «فَاتَّقُوا النَّارَ» أَيَّهَا الْمَلْحَدُونَ
 فِي كِتَابِ اللَّهِ «الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ» أَمْثَالُكُمْ «وَالْحِجَارَةُ»
 الْمُوَافِقَةُ لِقِسْوَةِ قُلُوبِكُمْ «أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ»، أَيْ هَيَّيْتُ
 لِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَفِي قَوْلِهِ: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
 أَبْلَغُ تَرْهِيْبٍ وَدَلَالَةٍ عَلَى مَبَايِنَتِهَا لِلنَّارِ الدُّنْيَا، فَهِيَ لِاتِّدْرَاطِهَا
 وَلَا يَأْسًا إِلَّا أَحْرَقَتْهُ. ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الرَّيْبَ الْمُحْتَرَزَ مِنْهُ هُوَ شَامِلٌ
 كُلِّ مَنْ يَحْتَاجُ فِكْرَهُ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْ كَوْنِ الْقُرْآنِ رُبَّمَا فِيهِ مِنْ
 جِهَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِتَنْظِيمِ الْفَاعِلِ مَا هُوَ مِنْ صِنْعِ الْبَشَرِ، فَلْيَحْتَرِزْ
 أَوْ قَلِيَّاتِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ. وَبَعْدَ مَا ذَكَرَ الْمُرْتَلِينَ فِي كِتَابِ
 اللَّهِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى آرْتَابِهِمْ، اسْتَلْفَتِ الْحِطَابُ
 لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ فَقَالَ: «وَلْيَسِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا»، بِالْكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنْ لَيْسَ لِلْبَشَرِ فِيهِ أَدْنَى اِكْتِسَابٍ «وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ» بِأَنْ اتَّبَعُوا مَا جَاءَ بِهِ مِنْ أَمْثَالِ الْأَوْامِرِ وَاجْتِنَابِ

الْمُنَاهِي «أَنْ لَهُمْ جَنَاتٍ» جَزَاءً مِنَ اللَّهِ لَهُمْ عَلَى حَسَنِ صُنْعِهِمْ
 مِنْ نَعْتِهَا وَصِفَاتِهَا «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا» أَيَّ خِلَالَهَا وَمِنْ تَحْتِ
 أَشْجَارِهَا «الْأَنْهَارُ» الْمُخْتَلِفَاتُ الْمَذَاقِ، وَإِنَّ أَهْلَهَا «كُلَّمَا
 رَزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا» لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا عَلَى وَجْهِ التَّفَكُّهِ
 وَالِإِعْجَابِ «هَذَا» الرِّزْقُ الَّذِي رَزِقْنَا الْآنَ هُوَ «الَّذِي رَزِقْنَا
 مِنْ قَبْلُ» فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَكُلُّ فَاكِهَةٍ تُشْبِهُ فَاكِهَةَ الدُّنْيَا، فَمَا
 بَالَهُ مُخْتَلِفُ الْمَذَاقِ «وَأَتَوَاهِ مُمْتَسِبِيهَا» سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، وَالْحِكْمَةُ
 فِي التَّشْبِيهِ بَيْنَ الرِّزْقَيْنِ فِي الصُّورَةِ، إِذَا الْإِنْسَانُ بِالطَّبْعِ مَائِلٌ لِفَوَاكِهِ
 أَرْضِهِ، وَبِالْأَخْصِ إِذَا انْقَمَلَ عَنْهَا إِلَى أَرْضٍ لَيْسَتْ فِيهَا مِنْ تِلْكَ
 الْفَاكِهَةِ، فَهُوَ يُوَدُّ أَنْ يَرَاهَا فَضِلًّا عَنْ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا بِالْأَكْلِ، حَتَّى
 إِذَا رَأَاهَا فِي الْجَنَّةِ يَكُونُ سَرِيعَ التَّنَاوُلِ مِنْهَا، فَالتَّشْبِيهُ زِيَادَةٌ فِي
 التَّجَاسُرِ وَالْمَيْلِ إِلَيْهَا بِخِلَافِ مَا لَوِ رَأَى فَاكِهَةً لَمْ تَسْبِقْ لَهُ
 صُورَتُهَا وَلَا مَذَاقُهَا، فَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا عَلَى الْفَوْرِ، إِلَّا
 بَعْدَ التَّدْرِيْبِ، وَلَمَّا كَانَتْ الْأَزْوَاجُ مِمَّا تَأَلَّفَهَا النَّفُوسُ غَيْرَاتٌ

فِيهَا مَا سَتَقَدَّرُهُ مِنْهَا غَالِبًا ، وَبِالْأَخْصِ مَا هُوَ كَدَمِ الْحَيْضِ الْمَانِعِ
 مِنْ مَبَاشَرَتِهِنَّ طَبَعًا وَشَرْعًا ، فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهَا عَلَى خِلَافِ أَزْوَاجِ
 الدُّنْيَا يَقُولُهُ : « وَكَلِمَةٌ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ » مِنْ دَمِ الْحَيْضِ وَمَا
 فِي مَعْنَاهُ كَالْبَوْلِ وَالغَائِطِ ، وَمَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْقَدُّرَاتِ ، فَتَقَى الشَّيْءَ
 بَيْنَهُنَّ مِنْ جِهَةِ التَّطْهِيرِ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مَزِيدُ الرَّغْبَةِ مِنْ جِهَةِ
 الْمَيْلِ إِلَيْهِنَّ ، وَلَيْسَ فِيهِ اسْتِيحَاشٌ ، وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ
 فِي نِعْمَةٍ قَدْ يَتَحَيَّلُ زَوَالَهَا غَالِبًا فَيَنْغَضُ عَيْشُهُ حَالَ التَّحَيُّلِ ، فَقَى
 ذَلِكَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَتَمَّ لَهُمُ النِّعْمَةُ ، وَيَدْوَمُ لَهُمُ الشَّرْوُ
 يَقُولُهُ : « وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » ، وَلَيْسَ دُخُولُ الْجَنَّةِ عِنْدَ أَهْلِ
 الْجَنَّةِ بِأَعْظَمِ نِعْمَةٍ مِنْ نِعْمَةِ الْخُلُودِ .

الإِسْتِنْبَاطُ : يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ : « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْكَلِمَةِ
 قَوْلِهِ : « خَالِدُونَ » لِسَعَةِ أَحْكَامِ :

الأَوَّلُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ أَيْلُغُ شَيْءٍ فِي الْإِعْجَازِ ، بِمَعْنَى
 أَنَّ نِظَامَهُ يُخْرِجُ عَنْ طَوْقِ الْبَشَرِ مِنْ قَوْلِهِ : فَأَتُوا السُّورَةَ مِنْ مِثْلِهِ .

الثَّانِي : عَلِمْنَا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَزَّهَ جَانِبَ الْقُرْآنِ مِنْ أَنْ يَلْتَقِيَ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِيَأْتِي بِمِثْلِهِ إِلَى الْأَبَدِ مِنْ قَوْلِهِ : « وَكُنْ تَفَعَّلُوا » .

الثَّالِثُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَنْ تَكُونَ تَقْوَاهُمْ لَهُ لِدَاتِهِ هَيْبَةٌ مِنْهُ ، وَإِلَّا فَلَئِنْ خَشِيَتْهُ مِنْ عَقُوبَتِهِ ، مِنْ قَوْلِهِ : « فَاتَّقُوا النَّارَ » بَعْدَ مَا أُطْلِقَ التَّقْوَى فِيمَا سَبَقَ .

الرَّابِعُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ جَهَنَّمَ هِيَ حَامِيَةٌ لِذَاتِهَا ، أَيْ لِاتِّتَوَقَّفَ حَرَارَتُهَا عَلَى وُجُودِ الْحَطْبِ مِثْلًا ، لَكِنَّهَا تَتَّقُوهُ بِوُقُوعِ النَّاسِ فِيهَا ، مِنْ قَوْلِهِ : « وَقَوِّدْهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » .

الْخَامِسُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ النَّارَ مِنْ أَوَّلِ خَلْقِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ قَوْلِهِ : « أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » .

السَّادِسُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ الْبِشَارَةَ تَحَقُّقُ لِمَنْ قَرَنَ إِيمَانَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنْ قَوْلِهِ : « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » .

السَّابِعُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ الْإِيمَانَ بِانْفِرَادِهِ عَنِ الْعَمَلِ غَيْرُ كَافٍ فِي تَحْقِيقِ النَّجَاةِ ، مِنْ وَقُوعِ الْبِشَارَةِ فِي الْآيَةِ بَعْدَ انْضِمَامِ الْعَمَلِ إِلَيْهِ .

التَّائِمِينَ : عَلِمْنَا بِأَنَّ تَعَارُ الْجَنَّةِ فِيهِ مَا يُشَابِهُهُ ثَمَارُ الدُّنْيَا، وَلَعَلَّهُ فِي الصُّورَةِ مِنْ قَوْلِهِ : « هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ » .

التَّاسِعُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ أَزْوَاجَ الآخِرَةِ عَلَى خِلَافِ أَزْوَاجِ الدُّنْيَا، مِنْ جِهَةِ الْقَدَارَةِ اللَّازِمَةِ لِأَبْدَانِهِنَّ، مِنْ قَوْلِهِ : « وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ » .

الإِشَارَةُ : تُؤْمِيءُ إِلَى أَنَّ الْجَنَّةَ جَنَّاتٌ، كَمَا أَنَّ الْفَاكِهَةَ فَاكِهَاتٌ، فَفَاكِهَةُ الْعُقُولِ الْأَسْرَارِ الْعِرْقَانِيَّةُ، وَفَاكِهَةُ النَّفُوسِ الشَّهْوَةُ الْبَهِيمِيَّةُ، وَكُلٌّ يَمِيلُ إِلَى مَطْلَبِهِ وَيَعِينُ إِلَى مَرْغُوبِهِ .

لِسَانَ الرُّوحِ : فِي قَوْلِهِ : « فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ » يَدْخُلُ فِي الْمَخْطَابِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، حَتَّى النَّبِيِّ فِي نَفْسِهِ عَاجِزٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِأَقْلٍ شَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ .

التَّفْسِيرُ : قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ مُؤَسَّسٌ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، وَإِنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَيْنَا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى عِدَّةِ أَمْثَالٍ صَرَّحَتْهَا تَعَالَى تَقْرِيْبًا لِلذُّهَامِ نُوِّهَ لِذَلِكَ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ لِيَكُونَ الْقَارِئُ

عَلَى بَصِيرَةٍ مِمَّا يَتَرَفَقُ سَمِعَهُ مِنَ الْأَمْثَالِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي»
 أَي لَا يَمْتَنِعُ «أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَبْعُوضَةً» مَهْمَا كَانَ فِيهَا مَا يَنْهَضُ
 بِالْعُقُولِ السَّالِمَةِ لِمَقَامِدِ الْقُرْآنِ «فَمَا فَوْقَهَا» أَي فَمَا بِأَلْكِ بِمَا فَوْقَهَا
 مِمَّا هُوَ كَالرَّعْدِ وَالْبُرْقِ وَالْمِشْكَاتِ الْمَضْرُوبِ بِهَا الْمِثَالُ لِنُورِهِ فِي قَوْلِهِ
 مِثْلُ نُورِهِ كِمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
 فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ» النَّبِيُّ، وَلَا يَشْكُونَ أَنَّهُ «مِنْ رَبِّهِمْ» صَرِيحٌ
 لِيَتَوَصَّلُوا بِهِ لِمَا هُوَ الْأَعْلَى مِنْ مُرَادِهِ تَعَالَى «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا»
 بِالْقُرْآنِ وَبِمَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ «فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا»
 أَي فَيَأْتِي شَيْءٌ هَذَا الْمِثَالُ حَتَّى يَضْرِبَهُ تَعَالَى، وَمَا أَرَادَ بِهِ يَقُولُ
 ذَلِكَ اسْتِخْفَافًا بِالْقُرْآنِ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ تَقُمْ عِنْدَهُ الْفَاطَةُ الْقُرْآنِ جَمِيعَهَا
 أَجَلَ مَقَامٍ يَخْشَى أَنْ يَشْمَلَهُ هَذَا الْحُكْمُ بِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اللَّفْظُ سَبَبًا فِي
 ضَلَالَتِهِ، يَقُولُهُ تَعَالَى: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا»، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْكَثِيرَ
 مِمَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ بِسَبَبِ مَا اسْتَشْكَلَهُ مِنْ بَعْضِ الْفَاطِطِ
 الْقُرْآنِ بِأَنْ لَمْ يَتَلَقَّهَا بِالتَّسْلِيمِ «وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» أَي بِذَلِكَ

اللَّفْظِ وَالْمِثَالِ نَفْسِهِ ، فَتَكُونُ حِكْمَةٌ تَرُودُ لِهِدَايَةِ الْبَعْضِ ، وَهُوَ
 الْغَالِبُ الْمَضْرُوبُ الْمِثَالُ مِنْ أَجْلِهِ وَضَلَالَةَ الْبَعْضِ ، وَلَمَّا ذَكَرَ
 تَعَالَى أَنَّ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يُضِلُّ بِهِ اقْتَشَعَتْ الْجُلُودُ وَتَشَوَّشَتِ الْقُلُوبُ
 لِمَا تَعَلَّمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ، فَأَتَى تَعَالَى بِمَا
 يُزِيلُ الْإِشْكَالَ ، وَيَبْرِزُهُ جَانِبَ الْهُدَايَةِ عَلَى جَانِبِ الضَّلَالَةِ فَقَالَ :
 « وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ » وَالسُّفَهَاءَ وَالْمُرْتَدِّينَ « الَّذِينَ
 يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ » ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ
 يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ وَتَمَسَّكَ بِالَّذِينَ وَبِمَا يَسْتَعِدُّونَهُ مِنْ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ
 يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ « وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ » مِنْ
 صِلَةِ أَرْحَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِدِهِمْ ، وَيَسْتَبَدُّونَهَا بِمَوَالِدِ أَعْدَائِهِمْ ،
 « وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ » بَيْتَ أَفْكَارِهِمْ ، وَحَيْثُ انْتَقَادِهِمْ عَلَى
 الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَلَنْ تَخْلُوا الْأُمَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ بَيْنَ أَظْهُرِهَا « أَوْلِيَاءُ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ » بِمَا فَاتَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِسَبَبِ انْتِقَادِهِمْ ، وَقِلَّةِ
 انْتِقَادِهِمْ ، وَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ .

الإِسْتِنبَاهُ: يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي» إِلَى قَوْلِهِ:
«الْمُخَاسِرُونَ» ثَمَانِيَةَ أَحْكَامٍ:

الأَوَّلُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْأَمْثَالَ يُسْتَحْسَنُ الْإِثْبَاتُ بِهَا مِنَ الْحَكِيمِ لِتَتِمَّ حِكْمَتُهُ فِي الْأَذْهَانِ، مِنْ قَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ».

الثَّانِي: عَلِمْنَا أَنَّ مَثَالَ الْقُرْآنِ قَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ قَوْلِهِ: «وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ».

الثَّلَاثُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْمُسْتَخْفَ بِأَيِّ لَفْظٍ مِنَ الْفَاطِطِ الْقُرْآنِ يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْكُفْرُ، مِنْ قَوْلِهِ: «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا».

الرَّابِعُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ مَثَالَ الْقُرْآنِ جَاءَتْ حِكْمَتُهَا لِهِدَايَةِ الْبَعْضِ وَضَلَالَةِ الْبَعْضِ، مِنْ قَوْلِهِ: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا».

الخَامِسُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا فَاسِقٌ، مِنْ قَوْلِهِ: «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ».

السَّادِسُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الضَّالَّ بِأَمثالِ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ عَهْدٌ مَعَ اللَّهِ ثُمَّ نَقَضَهُ، مِنْ قَوْلِهِ: «الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ».

السَّابِعُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ مِنْ وَصْفِ الْفَاسِقِ نَقْضَ الْعَهْدِ، وَقَطْعَ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُوصَلَ، وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ.

الثَّامِنُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ مَنْ وَجِدَتْ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ أَوْ مِثْلَهَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِيهِ خَاسِرٌ، مِنْ قَوْلِهِ: «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

الإِشَارَةُ: تُفِيدُ أَنَّ الْوُجُودَ جَمِيعَهُ ضَرْبُهُ تَعَالَى وَنُصْبُهُ مِثَالًا

مُوصِلًا لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ، لَيْسَ هُوَ مَقْصُودًا بِذَاتِهِ، فَمِنْ

تَتَبَعَهُ وَنَظَرَ مَا فِيهِ تَوَصَّلَ إِلَى غَايَتِهِ، قُلْ انظُرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ جَوْهَرًا وَعَرْضًا، إِذَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَفِيهِ دَلِيلٌ وَخَدَانِيٌّ

وَبِدَاءٌ زَيَّائِيٌّ، وَمَدَدٌ رُوحَانِيٌّ، بَعْوَضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، عَرَفَ مَنْ عَرَفَ

وَجْهَلُ مَنْ جَهِلَ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ الْمَتَرَكُ

بِاسْمِ الْخَلْقِ لِأَغْيَرٍ، زِيَادَةٌ عَالِيٌّ أَنْ يَكُونَ مُوصِلًا إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ

حَيْثُ حَقِيقَتُهُ النُّورَانِيَّةُ الْمَتَرَكَةُ مِنْ رَبِّهِمْ، الْمُعْبَرُ عَنْهَا بِالْقَبِيضَةِ

المَحْمَدِيَّة، فَهِيَ مِرَاةٌ ظُهُورِ الْحَقِّ، فَمَنْ نَظَرَ فِيهَا فَلَا تَقَعُ بِصِيرَتِهِ
 إِلَّا عَالَى وَجُودِ الْحَقِّ، فَيَعْلَمُ أَنََّّهُ الْحَقُّ، وَأَمَّا الْمَحْجُوبُ فَلَا يَبْصُرُ
 بَصْرَةَ إِلَّا عَالَى الْمِرَاةِ، لِأَنَّهُ يُرَاهَا مِنْ خَلْفِهَا فَيَقُولُ: مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ
 بِهَذَا، وَأَيُّ شَيْءٍ هَذَا، فَلَا يَرَى الْوُجُودَ إِلَّا بِأَخْسِ نَظْرَةٍ، يُضِلُّ بِهِ
 كَثِيرًا، وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَنْ نَظَرَ الْأَشْيَاءَ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ
 اسْتَمَدَّ مِنْهَا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا، وَمَنْ نَظَرَ بِعَيْنِ الْإِحْتِقَارِ اسْتَمَدَّتْ
 مِنْهُ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ حَقِيرًا.

لِسَانَ الرُّوحِ: فِي قَوْلِهِ: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَأَمَّا
 الَّذِينَ أَحْسَنُوا فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ.

التَّفْسِيرُ: وَبَعْدَ مَا حَاوَلَ تَعَالَى كُلَّ الْمَحَاوِلَةِ عَالَى أَنْ لَا يَذْكُرَ أَيُّ فَرِيقٍ
 مِنْ عِبَادِهِ بِصِنْفَةِ الْكُفْرِ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ، وَأَنَّى يَكُلُّ أَسْلُوبٍ يُؤَدِّي بِالتَّقَلُّبِ
 عَنْ مَعْنَدَاتِهِمْ، مَحَافِظَةً مِنْ كَسْرِ قُلُوبِهِمْ أَنْ يُوَاجِهَهُمْ بِاسْمِ الْكُفْرِ،
 فَأَبَوْا إِلَّا كُفُورًا، وَإِنْ مَعَ كُلِّ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ، فَقَالَ مُشَافَهَةٌ لَهُمْ: «كَيْفَ
 تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ»، وَالِاسْتِغْنَاءُ بِانْتِكَارِيٍّ، يَشْعُرُ بِأَخْطَاؤِهِمْ إِلَى غَايَةِ

لَا مَزِيدَ عِنْدَهَا فِي الْكُفْرِيَّاتِ ، وَهِيَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ - وَالْعِمَادُ بِاللَّهِ - وَمَعَ ذَلِكَ
 لَمْ يَهْمِلْهُمْ تَعَالَى وَمَا هُمْ عَلَيْهِ حَتَّى آتَى بِمَا فِيهِ اسْتِعْظَافُهُمْ ، وَمِنْ رَأْفَتِهِ
 وَرَحْمَتِهِ أَنَّ تَوَلَّى اسْتِمَالَتَهُمْ بِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : « وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا » أَي مَقْدُومِينَ
 وَهَذَا غَيْرُ مُتَحْتَاجٍ إِلَى بَيِّنَةٍ « فَأَحْيَاكُمْ » مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِأَنْ جَاءَ بِكُمْ إِلَى
 الْوُجُودِ ، وَهَذَا مُسَامٌ أَيْضًا ، وَلَمْ يَكْفِ هَذَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى وُجُودِ مُتَشَكِّكُمْ
 « ثُمَّ مَيِّتَكُمْ » عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِكُمْ ، كَمَا أَمَاتَ آبَاءَكُمْ ، أَوْ لَيْسَ فِي ذَلِكَ
 دَلَالَةٌ عَلَى وُجُودِ الْقَادِرِ « ثُمَّ أَحْيَاكُمْ » بِنَفْخَةِ الْبُعْثِ ، وَهَذَا هُوَ
 الْمُسْتَبْعَدُ عِنْدَهُمْ ، وَلَكِنْ لَوْ صَحَّ عِنْدَهُمُ الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ لَصَحَّ مَا بَعْدَهُ لِأَنَّ
 الْقَادِرَ عَلَى الْإِحْيَاءِ أَوْلًا فَقُدْرَتُهُ عَلَى الثَّانِي بِالْأَحْرُوبَةِ « ثُمَّ أَلْبَسَهُ
 مَرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا » تَقْرِيرًا مِنْهُ
 تَعَالَى الْإِنْكَارِ الْأَوَّلِ ، وَسَرَدَ بَعْضَ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ عَسَى أَنْ يَدْعُوهُمْ دَاعِي
 الْإِعْتِرَافِ فَيُؤْذِنُوا بِالْإِنْصَافِ ، وَكَوْنُهُ خَلَقَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
 إِنْ أَمَّنُوا ، وَإِلَّا فَهُمْ يَتَرَفَّوْنَ بِبِصْفَةِ الْغَضَبِ لِابْتِغَاءِ الْمَلِكِ « ثُمَّ
 اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ » أَي قَصَدَ إِلَى تَسْوِيَةِ

السَّمَاءِ عَالِي وَفَوْقَ إِرَادَتِهِمْ، ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ «تَمَّ» لَيْسَتْ هُنَا لِتَرْتِيبٍ، إِنَّمَا جَاءَتْ فِي سِيَاقِ تَعْدِيدِ النِّعَمِ، فَلَا تُعِيدُ تَقَدُّمَ خَلْقَةِ الْأَرْضِ عَالِي خَلْقَةِ السَّمَاءِ، لِجَاءَ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ، وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، وَلَأَنَّ اللَّطَائِفَ تَتَقَدَّمُ الْكُتَاتِفَ عَادَةً، وَالْأُولَى الرَّجُوعُ وَالْوُقُوفُ عِنْدَ قَوْلِهِ: «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْلَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، إِنَّمَا يَعْلَمُ بِالْبَعْضِ إِنْ عَلِمَهُ.

الإِسْتِنْبَاطُ: يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ» إِلَى قَوْلِهِ: «عَلِيمٌ» سِتَّةَ أَحْكَامٍ:

الْأَوَّلُ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ يَقُولُهُ: كَيْفَ تَكْفُرُونَ، الْقَالِبُ فِيهِمْ كَانَ مِمَّنْ يُنْكِرُ وَجُودَ الْمُدَبِّرِ، مِنْ قَوْلِهِ: وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا، حَيْثُ اسْتَجْلَبَ دَلِيلَ الْوَجُودِ.

الثَّانِي: عَلِمْنَا بِفَسَادِ مَذْهَبٍ مِنْ يَقُولُ الْمَحْيَا هِيَ يَفْعَلُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْإِيمَانَةُ فَهِيَ مَوْقُوفَةٌ عَلَى نَفَازِ مَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي الْعَبْدِ مِنَ الْقُوَّةِ، مِنْ قَوْلِهِ: ثُمَّ يَعْزِمُكُمْ، حَيْثُ أَسْنَدَ فِعْلَ الْإِيمَانَةِ لِنَفْسِهِ، كَمَا أَسْنَدَ فِعْلَ الْحَيَاةِ.

الثَّالِثُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الثَّانِيَةَ الْمَشَارِلَهَا بِقَوْلِهِ : ثُمَّ نَحْيِكُمْ ، عِبَارَةٌ
عَنْ شَعُورِ لَيْلَةِ الْقَبْرِ أَوْ حَيَاةِ الْبُرْزُخِ ، مِنْ قَوْلِهِ : ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، لِأَنَّ
رَبَّيْنَاهُ الرَّبُّوعَ إِلَيْهِ ، الَّذِي هُوَ الْبَعْثُ .

الرَّابِعُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ اللَّهَ صَرَفَ جِنْسَ الْبَشَرِ فِي جَمِيعِ مَا عَلَى الْأَرْضِ ، مِنْ
قَوْلِهِ : هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا .

الخَامِسُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ السَّمَاءَ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ خَلْقِ مَا عَلَى الْأَرْضِ
إِنَّمَا قَصَدَ بَعْدَ ذَلِكَ تَسْوِيَّتَهَا ، مِنْ قَوْلِهِ : ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ .

السَّادِسُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى بِتَعَلُّقِ بِالْجَزْئِيَّاتِ كَتَعَلُّقِهِ بِالْكُلِّيَّاتِ ،
مِنْ قَوْلِهِ : وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، لِأَنَّ إِسْمَ الشَّيْءِ شَامِلٌ لِكُلِّ مَوْجُودٍ
بِانْفِرَادِهِ كَيْفَمَا كَانَ .

الإِشَارَةُ : فِي قَوْلِهِ : كَيْفَ تَكْفُرُونَ ، فَإِنَّهَا تَتَوَقَّى الْكُفْرَانَ ، كَيْفَمَا كَانَ
حَتَّى تَرَى الْمُحْجُوبِينَ عَنِ اللَّهِ كَفَرُوا بِالنِّعَمِ الَّتِي مِنْ أَعْظَمِهَا نِعْمًا
الإِيجَادِ ، حَيْثُ لَمْ يَرَوْهَا قَائِمَةً بِمَوْجِدِهَا ، فَيَكُونُ الْخِطَابُ عَارًا

عَلَيْهِمْ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ ، كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ بِأَنْ تَجْهَلُوهُ فِي الْآفَاقِ وَفِي
 أَنْفُسِكُمْ ، وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي طَيِّ الْعِلْمِ الْمُحْضِنِ ، هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ
 مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ، فَأَحْيَاكُمْ بِنَفْخِهِ وَسَمِعِهِ وَبَصَرِهِ
 وَقُدْرَتِهِ ، وَظَهَرَ فِيكُمْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ ، خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، ثُمَّ
 يَمِيتُكُمْ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْبَطُونُ وَالظُّهُورُ ، وَالغَيْبَةُ وَالْحَضُورُ ، ثُمَّ يَحْسِبُكُمْ
 بِهِ كَمَا أَمَاتَكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ عَدَمًا وَوَجْدًا ،
 فَهُوَ الْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

لِسَانَ الرُّوحِ : فِي قَوْلِهِ : وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، يَقُولُ هُوِيَّةُ الشَّيْءِ
 غَيْبُهُ ، وَهُوَ ذَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَهَا السَّرِيانُ الْمَطْلُوقُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَلِهَذَا اسْتَدَّ
 الْعِلْمُ إِلَيْهَا ، فَهِيَ أَحْوَابُ بِالشَّهَادَةِ مِنَ الشَّهَادَةِ بِالْغَيْبِ .

التَّفْسِيرُ : قَدْ تَقَدَّمَ مَا فِي ضَمْنِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَهْمَا أُورِدَ فِي كِتَابِهِ
 مِنَ الْحِكَايَاتِ ، وَاسْتَطْرَدَّ مِنَ الْقِصَصِ فَلَا تَحْمِلُهُ عَلَى مُجَرَّدِ التَّفَكُّهِ
 وَالِاسْتِطْلَاعِ عَلَى أَخْبَارٍ مِنْ مَضَى ، فَيَكُونُ كَلَامًا مَفْرَعًا عَمَّا هُوَ الْأَهَمُّ
 وَكَلَامَ اللَّهِ أَنْفَعُ مِنْ ذَلِكَ ، إِنَّمَا مَرَادُهُ تَعَالَى مِنَ التَّائِبِي وَالنَّاسِي بِذَلِكَ

وَاسْتِنَابَ الْأَحْكَامِ وَاسْتِجْلَابَ الْأَخْلَاقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَرُ
 كَثْرَةَ زِيَادَتِهِ عَلَى إِبْرَادِ الْحِكَايَةِ، فَتَثَبَتْ فِيمَا سَيَرِدُ عَلَيْكَ، وَمِنْ ذَلِكَ
 قِصَّةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ «أَيُّ
 لِلْأَرْوَاحِ النُّورَانِيَّةِ وَالنُّفُوسِ الْأَقْدَسِيَّةِ» «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ»
 الَّتِي هِيَ مَقَرُّ الْحَيَوَانِ «خَلِيفَةً» أَيُّ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ، وَهِيَ نِعْمَةٌ
 مِنْهُ تَعَالَى، شَامِلَةٌ لِلنُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ مِنْ جِهَةِ تَخْتِصُّمِهِ
 بِالْخِلَافَةِ الْإِلَهِيَّةِ دُونَ بَقِيَّةِ الْأَجْنَاسِ الْعُلُوتِيَّةِ وَالسُّفَلِيَّةِ، فَهِيَ
 مَكَانَةٌ أَبْعَدُ مِنْ أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَدُ الْبَشَرِ بِطَرِيقِ الْإِكْتِسَابِ، فَكَانَ مِنْهُ
 مِنَ اللَّهِ عَالِي النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ، وَلِهَذَا أَصْدَرَ تَعَالَى
 بِذِكْرِهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ عَقِبَ تَنْوِيهِهِ بِنِعْمَةِ الْإِيجَادِ الْمَشَارِكِ لَهَا
 بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «رِيَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ»، وَمِنْ أَهَمِّ
 مَا تَضَمَّنَتْهُ الْخِلَافَةُ أَنَّ الْمُسْتَحْلَفَ يَفْتَحُ اللَّامَ يَنْزِلُ مِنْزِلَةَ الْمُسْتَحْفِ
 بِكُسْرِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ سَجُودُ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَوْلَا
 أَهْمِيَّةُ الْمُنْمَبِ لَنَا «قَالُوا» أَيُّ الْمَلَائِكَةِ، تَنْزِيهَا جَانِبِ الْخِلَافَةِ

مِنْ أَنْ يِنَالَهَا مِنْ فُطْرِ عَايِ الْفَسَادِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ عَايِ مَا تَقْتَضِيهِ
 جِلِّيَّةُ الْجَوَابِ «أَجْعَلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ»
 خَلِيفَةً، وَتَتْرَكَ أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةَ مِنَّا» وَنَحْنُ نَسِيحُ بِحَمْدِكَ
 وَنَقَدِّسُ لَكَ»، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ اسْتِيعَادًا أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ
 الْحَيَوَانَ مِنْ يَسُوسُ غَيْرَهُ بِمَا تَقَرَّرَ لَدَيْهِمْ مِنْ هَمَجِيَّتِهِ وَفَسَادِهِ فِي
 الْأَرْضِ، فَصَارَتِ الْمَسْأَلَةُ عِنْدَهُمْ ذَاتَ نَظَرٍ مِنْ أَجْلِ أَنَّ السُّنُوعَ
 وَإِنْ كَانَ مُنْقَضًا عَنِ الْجِنْسِ بِالْحَامِصِيَّةِ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِيهِ بِالْحَقِيقَةِ
 فَصَارَ الْإِنْسَانُ كَيْفَمَا كَانَ لَا يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ الْحَيَوَانَ، وَالْحَيَوَانِيَّةُ
 كَانَتْ عِنْدَهُمْ أَبَدًا مِنْ مَنْصِبِ الْخِلَافَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَهَذَا وَجْهٌ
 اسْتِغْرَابِ الْمَلَائِكَةِ وَاسْتِفْسَارِهِمْ لِجَانِبِ الْحَقِّ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
 الْفَضْلَ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُفْضِلَ بِهِ الْإِنْسَانَ مِنْ جِنْسِ
 الْحَيَوَانَ هُوَ الْعِلْمُ، فِيهِ يَرْتَبِعُ بِالْمَلَأِ الْأَعْيِ، وَهَذَا «قَالَ» لَهُمْ
 تَعَالَى «إِنِّي أَعْلَمُ» مِنْ أَمْرِ الْخِلَافَةِ «مَا لَا تَعْلَمُونَ»، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ
 عَقُولَكُمْ لَا تَبْلُغُ كُنْهَ الْخَلِيفَةِ الَّذِي أَنَا جَاعِلُهُ، فَكَيْفَمَا تَخَيَّلْتُمُوهُ فَشَأْنُهُ

أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَبِعِبَارَةِ إِدْقٍ وَنَظَرٍ إِدْقٍ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
 أَيُّ جَاعِلٌ فِيهَا مَنْ يَخْلُفُنِي فِي مَبَاشَرَةِ الْأَفْعَالِ الْحَيَوَانِيَّةِ ، وَالْأَخْلَاقِ
 النَّفْسَانِيَّةِ ، وَنَبَسَطُ لَهُ فِي الْإِخْتِيَارِ ، فَتُنَسَبُ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالُ وَتَسْتَرُّ
 الْمُخَيَّلُ بِوُجُودِ الْخَيَالِ ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْأَفْعَالِ ، غَيْرُ أَنَّ
 مَنْصِبَ الْأَلُوْهِيَّةِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَبَاشِرَ مَا كَالْأَفْعَالِ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الْفَسَادِ
 وَسَفْكِ الدِّمَاءِ يَدُونَ مَا يَتَسَتَّرُ بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا
 أَرَادَ أَنْ يَحْدِثَ فِي مَمْلَكَتِهِ شَيْئًا لِحِكْمَةٍ هُوَ أَعْلَمُ بِهَا ، وَخَشِيَ أَنَّ
 لَا يَتَّعِزُّ ذَلِكَ الْفِعْلُ مَوْقِعًا حَسَنًا فِي نَظَرِ الْعُمُومِ لِعَدَمِ إِطْلَاعِهِمْ عَنْ
 وَجْهِ الْحِكْمَةِ فَيَعْمَلُهُ بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ أَوْ نَائِبِهِ ، حَتَّى لَا يَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ
 لَوْمٌ شَفَقَةٌ عَنْ عَقِيدَةِ الْعُمُومِ أَنْ تَتَغَيَّرَ فِي أَمِيرِهَا ، وَأَمَّا الْخُصُوصُ
 فَإِنَّهُمْ عَالِمٌ مِنْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا فِعْلَ لَهُ مَعَ فِعْلِ الْمَلِكِ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ
 أَنَّ عَامَّةَ الْمَلَائِكَةِ أَقْصَرُ نَظْرًا مِنْ خَاصَّتِهِمْ وَهُمْ الْكُرِّيُّونَ ، وَلَا يَلْزَمُ
 مِنْ عَدَمِ إِطْلَاعِهِمْ عَلَى الْغَيْبِ نَقْصٌ فِي مَنْصِبِهِمْ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ لَا يَشْتَرِطُ
 أَنْ تَحُوطَ جَبَلِيَّتُهُ بِالْجُزْئِيَّاتِ ، إِنَّمَا كَانُوا عَالِمِينَ بِمَا يَرْتَكِبُهُ جِنْسٌ

الْبَشَرِ فِي الْأَرْضِ أَيَّ كَانٍ، وَلِهَذَا قَالُوا أَسْجَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ إِلَى آخِرِهِ
 خَلِيفَةً، فَمَا هِيَ الْحِكْمَةُ وَتَتْرَكَ أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةَ مِنَّا، وَنَحْنُ نَسَبِحُ
 بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، وَلَمَّا كَانَ الْإِطْلَاقُ عَلَى تَفْصِيلِ الْحِكْمَةِ مُتَقَدِّرًا،
 وَسِرُّ الْقَضَاءِ فِي الْخَلْقِ مُتَسْتَرًّا قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَبَعْدَ مَا
 تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُهُ بِتَنْجِيحِ خَلْقَةِ آدَمَ عَلَى وَفْقِ عِلْمِهِ رَتَّبَ فِي فِطْرَتِهِ
 جَمِيعَ مَا تَقْتَضِيهِ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ وَالصِّفَاتُ الْأَقْدَسِيَّةُ، جَلَالِيَّةٌ
 وَجَمَالِيَّةٌ وَكَمَالِيَّةٌ. فَحَقِيقَتُهُ تَطْلُبُ تِلْكَ الْمُقْتَضِيَاتِ بِالْجِبِلِّيَّةِ، ثُمَّ
 أَطْلَعَهُ عَلَى حَقَائِقِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَلَوَازِمِهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: «وَعَلَّمَ آدَمَ
 الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» مِمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الْجَمَالِيَّةِ وَالْجَلَالِيَّةِ، زِيَادَةً عَلَى مَا وَصَلَ
 إِلَيْهِ عِلْمُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّطَوِيِّ فِي جِبِلِّيَّتِهِمْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْجَمَالِيَّةِ وَالصِّفَاتِ
 التَّرْبِيهِيَّةِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى كَانَ مُتَعَرِّفًا لَهُمْ بِمَا هُوَ كَالْهَادِي وَالنَّافِعِ لِابْنِ
 هُوَ كَالضَّارِّ وَالْمَانِعِ، وَبَعْدَ مَا جَعَلَ فِي آدَمَ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ مَا يَتَوَصَّلُ
 بِهِ إِلَى إِدْرَاكِ حَقَائِقِ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ «ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ»
 أَيَّ عَرَضَ عَلَيْهِمْ مَسْمِيَّاتِ مَا تَقْتَضِيهِ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الْجَلَالِيَّةُ وَالْكَمَالِيَّةُ

فَلَمَّا هَيَّئْتُ لَدَيْهِمْ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مَصَادِرَ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ كَالْعَفْوِ
 وَالْإِنْتِقَامِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَالنَّعْمِ وَالضَّرِّ، إِلَى آخِرِ مَصَادِرِ الْأَسْمَاءِ
 الْإِلَهِيَّةِ « فَقَالَ أَنْبِيؤُنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ » عَلَى مَا تَقَعُ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي
 الْأَرْضِ مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ « إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » فِي
 دَعْوَاكُمْ مِنْ أَنْكُمْ عَلَى عِلْمِ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَعُمُومِ التَّجَلِّيَّاتِ
 « قَالُوا سُبْحَانَكَ » جَلَّتْ حِكْمَتُكَ وَتَقَدَّسَتْ إِرَادَتُكَ « لِأَعْلَمَ لَنَا »
 بِعُمُومِ الْأَسْمَاءِ وَالتَّجَلِّيَّاتِ « إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ »
 وَاسْتَغْلَتْنَا بِهِ مِنَ الشَّيْخِ وَالتَّقْدِيسِ، وَلَمَّا حَصَلَ مِنْهُمْ الْإِعْتِرَافُ وَأَدْعَوُوا
 بِالتَّقْصِيرِ وَأَذِنُوا بِالْإِنْصَافِ « قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا
 أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ » مِنَ الْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ، فَلَمَّا أَطْلَعَهُمْ عَلَى مَا اسْتَتَرَ
 عَنْهُمْ مِنْ جِهَةِ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَمُقْتَضِيَاتِهَا مِنْ أَنْ كُلَّ إِسْمٍ يُطْلَبُ
 مُتَعَلِّقًا، وَلَا يَدْرَأُ مِنْ ظُهُورِ الْأَسْمَاءِ عُمُومِهَا، وَإِلَّا تَعَطَّلَ بَعْضُهَا وَأَفْصَحَ
 غَايَةَ الْإِفْصَاحِ، وَجَادَ وَأَفَادَ بِمَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ فَظَهَرَتْ
 لَهُمْ صِفَةُ الْخُصُوصِيَّةِ، وَاسْتَتَرَتْ أَوْصَافَ الْبَشَرِيَّةِ، وَالْعِلْمِ الْآخَرَ

بِالسِّتْرِ لِكُلِّ وَصْفٍ ذَمِيمٍ ، وَبِمَا اتَّضَحَ لَدَيْهِمْ « قَالَ » تَعَالَى تَبَكَّيْتُمْ لَهُمْ
 عَلَى مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ عَدَمِ التَّفْوِيزِ « أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ
 السَّمَوَاتِ » الَّتِي هِيَ مَقَرُّكُمْ « وَالْأَرْضِ » الَّتِي هِيَ مَقَرُّ الْخِلَافَةِ وَمَا يَبْقَى
 فِيهَا مِنَ الْفَسَادِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَهَلْ لَهِنَّمْ أُنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَلَى حِينِ
 غَفْلَةٍ حَتَّى تَذَكَّرُونِي ، كَلَّا إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ ذَلِكَ « وَأَعْلَمُ » مِنْكُمْ « مَا تَبْدُونَ »
 مِنَ الطَّاعَةِ وَالسَّبِيحِ « وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » فِي أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْإِعْتِرَاضِ
 عَلَى أُنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً . وَلَمَّا تَحَقَّقَ مِنْهُمْ الْإِعْتِرَافُ وَذَعَسُوا
 بِالْحَقِّ وَدَنُوا بِالْإِنصَافِ ، أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُحَقِّقَ صِدْقَهُمْ بِذَلِكَ
 فَيَسْتَعْبِدَهُمْ لِأَدَمَ وَيَبْلِيَهُمْ بِالسُّجُودِ ، حَتَّى لَا يَقَعَ مِنْهُمْ عَلَيْهِ إِعْتِرَاضٌ
 يُعَدُّ ذَلِكَ ، فَضِلَّا أَنْ يَقَعَ مِنْهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، امْتَحَنَهُمْ بِالسُّجُودِ فَقَالَ
 « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ » الْمُسْتَشَارِينَ أَوَّلًا لِأَلْغِيهِمْ مِنَ الْعَالَمِينَ لِأَنَّهُ لَمْ
 يَحْصُلْ لَهُمْ مَشَاوِرَةٌ ، وَلَمْ يَقَعَ مِنْهُمْ إِعْتِرَاضٌ « اسْجُدُوا لِأَدَمَ » وَأَخضعُوا
 لَهُ ، وَلَا تَعْتَرِضُوا عَلَيْهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، فَقَدْ اسْتَبَانَ أَنَّهُ أَوْسَعُ مِنْكُمْ عِلْمًا
 « فَسَجُدُوا » مِنْ غَيْرِ اسْتِيفْسَارٍ عَمَّا هِيَ الْحِكْمَةُ فِي السُّجُودِ كَمَا اسْتَفْسَرُوا

أَوْلَا عِنْدَ قَوْلِهِمْ: أَلَمْ يَجْعَلْ فِيهَا مِنْ يَفْسِدْ فِيهَا، وَلَوْ اسْتَفْسَرَ وَاتَانِيَا لِحَقَّتْ بِهِمْ
 الْعُقُوبَةُ، لِأَنَّهُمْ الْآنَ عَالِمٌ مِنْ شَأْنِ آدَمَ، فَإِنَّ زَلَّةَ الْعَالِمِ أَسْنَعُ مِنْ
 زَلَّةِ غَيْرِهِ، وَلَمَّا كَانَ إِبْلِيسُ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْمَشُورَةِ أَوْلَا عِنْدَ قَوْلِهِ: وَإِذْ
 قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْ آدَمَ
 مِنْ عِلْمِ الْأَسْمَاءِ شَيْئًا، إِنَّمَا أَخْضَرَ وَقْتَ الْأَمْرِ بِالسُّجُودِ، فَامْتَنَعَ
 لِذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى» أَيِ امْتَنَعَ، وَالِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ هُنَا،
 لِأَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ، وَالِامْتِنَاعُ كَانَ مِنْهُ لِعِلَلِ اعْتِمَادِهَا فَقَطَعَ النَّظَرَ عَنِ السَّابِقَةِ
 أَوْلَا: إِنَّهُ لَمْ يَخْضُرِ الْمَشُورَةَ. ثَانِيًا: إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ آدَمَ مِنَ الْعِلْمِ
 مَا يَسْتَوْجِبُ خُضُوعَهُ لَهُ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ. وَثَالِثًا: كَوْنُهُ مُتَعَبِّدًا
 وَآدَمَ لَمْ يَسْبِقْ مِنْهُ عَمَلٌ يَسْتَوْجِبُ الْأَفْضَلِيَّةَ عَلَى إِبْلِيسَ. وَرَابِعًا: إِنَّهُ
 خَيْرٌ مِنْهُ عَلَى مَا اعْتَقَدَهُ إِبْلِيسُ مِنْ جِهَةِ الْفِطْرَةِ النَّارِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْفِطْرَةِ
 التُّرَابِيَّةِ. وَخَامِسًا: إِنَّ الْخِطَابَ كَانَ لِلْمَلَائِكَةِ وَإِبْلِيسُ مِنَ الْجِنِّ وَسَادِسًا:
 احْتِجَابٌ عَنِ شَهُودِ الْحَقِّ فِي آدَمَ. وَسَابِعًا: اعْتِمَادُ عَلَى نَهْيِ اللَّهِ تَعَالَى
 عِبَادَهُ عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِهِ. وَثَامِنًا: ظَنُّ أَنْ مَكَانَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ لَا تَسْقُطُ بِمَجْرَدِ

امْتِنَاعِهِ عَنِ السُّجُودِ لِمَخْلُوقٍ. وَتَأْسِئًا: أَرَادَ أَنْ يَسْتَفْسِرَ كَمَا اسْتَفْسَرَتْ
 الْمَلَائِكَةُ فِي أَوَّلِ خَلْقَةِ آدَمَ. وَعَاشِرًا: مَا اسْتَفْزَهُ مِنَ الْكِبَرِ. وَالْحَادِي
 عَشَرَ: مُوَافَقَةً لِمَا جَرَى بِهِ الْقَدَرُ، وَلِهَذَا سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ، إِلَّا
 إِبْلِيسَ أَبِي «وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ» فِي عَامِ اللَّهِ «مِنَ الْكَافِرِينَ» بِسَبَبِ
 مَا حَمَدَهُ مِنْ وَجُودِ السُّجُودِ لِآدَمَ وَالِإِعْتِرَافِ بِأَفْضَلِيَّتِهِ، لِأَكُونَهُ
 كَافِرًا بِاللَّهِ وَبِصِفَاتِهِ، فَهِيَ أَعْبَدُ مَنْ يُحَدِّدُ وَحْدَانِيَةَ اللَّهِ بِمَا سَبَقَ لَهُ
 مِنَ الْإِنْقِيَادِ، إِنَّمَا كَفَرَهُ عِنَادٌ. ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمَأْمُورِينَ بِالسُّجُودِ
 لِآدَمَ لَنْ يَزَالُوا سَاجِدِينَ سُّجُودَ طَاعَةٍ وَامْتِنَالٍ لِآدَمَ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ
 يُخْبِرْنَا عَنْهُمْ بِالرَّفْعِ مِنَ السُّجُودِ، كَمَا أَخْبَرْنَا بِأَنَّهُمْ سَجَدُوا، وَسُجُودُهُمْ
 هَذَا الْآنَ لِآدَمَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ خُضُوعِهِمْ وَامْتِنَالِهِمْ، وَنَعْنَى بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ
 الْمَوْكَلِينَ بِجِنْسِ النَّسْرِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَسِتَّةَ
 وَسِتِّينَ عَرْقًا، مَعَ كُلِّ عَرْقٍ مَلِكٌ مُسَخَّرٌ فِي حِفْظِ الْإِنْسَانِ، وَكُنِيَ
 بِذَلِكَ طَاعَةً وَسُّجُودًا، فَتَجَدَّ الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِهِ، لِأَيَّالُونِ مَنْ
 نَصَحَهُمْ وَحَفِظَهُمْ لَهُ، وَحَتَّى لَوْ أَرَادَ ابْنُ آدَمَ أَنْ يَقْتَرِفَ مُخَالَفَةً كَمَا

هِيَ عَادَتُهُ يَتْرُكُونَهُ وَشَأْنُهُ ، وَلَا يَنْقُصُ شَيْءٌ مِنْ أَعْتَابِهِمْ بِهِ ، فَيَالِهَا
 مِنْ طَاعَةٍ وَيَالِهُ مِنْ سُجُودٍ لَوْلَا أَنَّ يَكُونُوا عَلَيْهِ فِي الْأَجْرَةِ مِنْ شُهُودِ
الِإِسْتِثْنَاءِ : يَسُحَّرُ مِنْ قَوْلِهِ : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ «إِلَى
 قَوْلِهِ : « وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ » إِثْنَانِ وَعِشْرُونَ حُكْمًا :

الْأَوَّلُ : عَلِمْنَا بِمَشْرُوعِيَةِ الْمَشُورَةِ وَإِنْ مِنْ الْفَائِضِ لِلْمَفْضُولِ ، مِنْ
 قَوْلِهِ : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » .

الثَّانِي : عَلِمْنَا بِجَوَازِ الْإِسْتِثْنَاءِ ، وَإِنْ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى ، مِنْ
 قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا .

الثَّلَاثُ : عَلِمْنَا بِجَوَازِ ذِكْرِ مَعَايِبِ النَّاسِ عِنْدَ الْمُهَيَّمَةِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ
 أَيْضًا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ .

الرَّابِعُ : عَلِمْنَا بِجَوَازِ الْإِنْصَابِ لِلْمَعْدِ إِذَا كَانَ يَقْصِدُ النَّصْحَ ، مِنْ
 اسْتِمَاعِهِ تَعَالَى لَهُمْ وَعَدَمِ اعْتِرَاضِهِ عَلَيْهِمْ .

الخَامِسُ : عَلِمْنَا بِجَوَازِ نِسْبَةِ الْفِعْلِ لِلْعَبْدِ وَالِإِفْتِحَارِ بِالطَّاعَةِ ، مِنْ
 قَوْلِهِمْ : وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ .

السَّادِسُ : عَلِمْنَا بِتَّحْيِينِ كَيْفَانِ مَا يَتَعَدَّرُ بَيَانَهُ ، مِنْ قَوْلِهِ : «إِنِّي
أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» .

السَّابِعُ : عَلِمْنَا بِجَوَازِ تَخْصِيصِ الْمُعَلِّمِ أَحَدَ السَّلَامَةِ بِمَا لَا يُخَصِّصُ
بِهِ غَيْرُهُ ، مِنْ قَوْلِهِ : «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» دُونَ الْمَلَائِكَةِ .
الثَّامِنُ : عَلِمْنَا بِجَوَازِ امْتِحَانِ السَّلَامَةِ ، مِنْ قَوْلِهِ : «أَنْبِئُونِي
بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ» .

التَّاسِعُ : عَلِمْنَا بِوَجُوبِ اعْتِرَافِ الْمُقَصِّرِ بِتَقْصِيرِهِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ :
لَا عِلْمَ لَنَا .

الْعَاشِرُ : عَلِمْنَا بِمَشْرُوعِيَّةِ الْإِجَازَةِ ، مِنْ قَوْلِهِ : «دَأْنِبْتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ» .
الْحَادِي عَشْرُ : عَلِمْنَا بِجَوَازِ افْتِحَارِ الْمُعَلِّمِ بِتَلْمِيذِهِ ، مِنْ قَوْلِهِ أَيْضًا :
«أَنْبِئْتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ» .

الثَّانِي عَشْرُ : عَلِمْنَا بِوَجُوبِ إِظْهَارِ مَا يَعْلَمُهُ التَّلْمِيذُ إِذَا أَمْرٌ بِذَلِكَ
مِنْ جَوَابِ آدَمَ لِمَا يَعْلَمُهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ .

الثَّلَاثُ عَشْرُ : عَلِمْنَا بِجَوَازِ تَبَكُّيْتِ مَنْ نَسَبَ لِنَفْسِهِ أَكْثَرَ مِمَّا لَهُ .

مِنْ قَوْلِهِ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَنَا أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».

الرَّابِعُ عَشَرَ: عَلِمْنَا بِوُجُوبِ التَّفْوِيزِ لِلَّهِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ عَمُومِ الْقِصَّةِ.

الخَامِسُ عَشَرَ: عَلِمْنَا بِثُبُوتِ الْأَفْضَلِيَّةِ بِالْعِلْمِ لَا بِمَجْرَدِ الْعَمَلِ، مِنْ تَفْضِيلِهِ تَعَالَى آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ.

السَّادِسُ عَشَرَ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْخُصُوصِيَّةَ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى عَمَلٍ، لِأَنَّ آدَمَ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ عَمَلٌ يُوجِبُ أَفْضَلِيَّةً عَلَى الْمَلَائِكَةِ.

السَّابِعُ عَشَرَ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْمَعَاصِيَ مُحِبَّةٌ لِلْأَعْمَالِ مِنْ طَرْدِ إِبْلِيسَ بِمَجْرَدِ مَخَالَفَتِهِ.

الثَّامِنُ عَشَرَ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْكِبْرَ الْكَبِيرَ أَكْبَرُ دَاءٍ فِي سُقُوطِ الْمُنْزَلَةِ وَوُجُوبِ الطَّرْدِ، مِنْ قِصَّتِهِ أَيْضًا.

التَّاسِعُ عَشَرَ: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْحَاجِدَ لِوَاجِبٍ مَعْلُومٍ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ يَكْفِيهِمَا مَجْدَهُ إِبْلِيسَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ أَنْ يَكُونَ وَاجِبًا.

تَمَامُ الْعِشْرِينَ : عَلِمْنَا بِأَنَّ التَّأْوِيلَ الْبَعِيدَ لَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ ، مِمَّا تَأْوَلَهُ
إِبْلِيسُ .

الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ : عَلِمْنَا بِأَنَّ الْقِيَاسَ لَا يَعْمَلُ مَعَ النَّصِّ الصَّرِيحِ ،
مِنْ قِيَاسِ إِبْلِيسَ مَعَ وُجُودِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ بِالسُّجُودِ .

الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ : عَلِمْنَا بِأَنَّ التَّوْبَةَ أَقْرَبُ وَسِيلَةٍ فِي الرَّجُوعِ إِلَى
اللَّهِ ، مِنْ تَوْبَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ التَّائِبِينَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

الإِشَارَةُ : الْخَلِيفَةُ لِلْمَلِكِ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَتَوَلَّى لِأُمُورِ الْقَائِمِ بِشُؤُونِهِ
بِمَعْنَى أَنَّهُ يَخْلُفُهُ فِي الْمَجَلِّ الْمُسْتَخْلَفِ فِيهِ ، وَلَا يَدَّ وَأَنْ يَكُونَ فِيهِ
مِنْ نَحْوِ الْمَلِكِ مِنْ جِهَةِ الْعَطَاءِ وَالْمُنْحِ ، وَالنَّقْحِ وَالضَّرِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنَ النَّعْوَاتِ الَّتِي تَرْبِطُهُ بِالْمَلِكِ ، وَتُمَيِّزُهُ عَنِ الْمَمْلُوكِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ
يَكُونُ مَلِكًا مِنْ وَجْهَةِ مَمْلُوكًا مِنَ الْآخَرَى ، وَبِهَذَا الْمَوْجِبِ ظَهَرَ تَعَالَى
فِي آدَمَ بِعَمُومِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، وَلَوْلَا
ذَلِكَ لَمَا سَجَدَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ ، فَمَنْ نَظَرَ وَجْهَ الْمَلِكِ فِي الْخَلِيفَةِ

فَقَدْ قَامَ بِحَقِّهِ، وَمِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بَاءَ بَعْضِهِ، وَمَا تَمَيَّزَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ
 الشَّيَاطِينِ إِلَّا بِذَلِكَ، فَمَلَّحْتَ الْحَقَّ فِي الْخَلْقِ خُطَّةَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ
 وَعَدَمَ مَلَّحْتَهُ خُطَّةَ الشَّيَاطِينِ، وَالنَّاسُ جَاءَتْ عَلَى أَزْوَاجٍ ثَلَاثَةٍ،
 فَطَائِفَةٌ عَلَى نَعْتِ آدَمَ، وَهُمْ الْعَارِفُونَ وَالْجَاهِزَةُ الْوَاصِلُونَ، عَرَفُوا
 الْأَسْمَاءَ وَحَقَائِقَهَا، وَالصِّفَاتِ وَدَقَائِقَهَا، وَالذَّاتِ وَمَقْتَضِيَاتِهَا، فَاسْتَحَقُّوا
 بِذَلِكَ الْخِلَافَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَالظُّهُورَ عَلَى جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ. وَطَائِفَةٌ جَاءَتْ عَلَى
 خُطَّةِ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ، وَالزُّهَادُ الصَّالِحُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ
 مَخْجُوبُونَ عَمَّا وَرَاءَ السُّتُورِ فِيمَا يَقْتَضِي الشُّعُورَ، وَلِهَذَا تَجِدُهُمْ يَتَّقِدُونَ
 عَلَى الْقَوْمِ أَحْيَانًا فِيمَا يَطْهَرُ لَهُمْ فِي سِيرَتِهِمْ مِنَ النَّقْصِ، كَمَا ظَهَرَ لِلْمَلَائِكَةِ
 فِي آدَمَ لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَا لَهُمْ مِنَ الْمَزَايَا، وَبَسَّرَ عَنْهُمْ
 أَوْصَافَ الْبَشَرِيَّةِ بِسِرِّ الْخُصُوصِيَّةِ، وَأَمَّا بَعْدَ الْإِطْلَاعِ فَهَمَّ أَبْعَدَ مِنْ
 أَنْ يَجِدُوا الْحَقَّ، لَكِنْ يَسْتَلِيمُ اللَّهُ بِالسَّجُودِ إِلَيْهِمْ، كَمَا أَتَى الْمَلَائِكَةَ
 بِالسَّجُودِ لِآدَمَ، وَلِهَذَا اتَّجَدَ الْعَالِمُ مَنْ يَتَوَسَّمُ بِالصَّلَاحِ إِلَّا وَهُوَ
 يَدِينُ بِالْإِخْطَاطِ لِلْقَوْمِ وَبِالْإِعْتِرَافِ بِعُلُومِهِمْ، وَلَا يَجِدُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

إِذْ كَمَا تَجِدُ الْمَلَأْتِكَةَ بِمَحْضَرَةِ آدَمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ أَقْرَبُ
 مِنَ الْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ. الطَّائِفَةُ الثَّلَاثَةُ وَهِيَ أُنْبَعْدُ الطَّوَائِفِ عَنِ اللَّهِ
 سَارَتْ عَلَى خُطَّةِ الشَّيَاطِينِ، وَالْحَقُّ يَقُولُ: «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ»
 فَإِنَّهَا لَمْ تَعْتَرَفْ بِالْإِيقَانِ، وَلَا تَدِينُ بِالشَّهَادِ وَلَا بِالْعِيَانِ، تَرَى كَأَنَّ
 الْوُجُودَ فَارِغٌ مِنْ كُلِّ مَعْنَى رَاجِعَةً لِذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ - عَافَانَا اللَّهُ مِنَ
 الْإِخْتِجَابِ - ثُمَّ أَنَّ تَطْيِيرَ آدَمَ عَلَى مَا بِهِ الْإِشَارَةُ تَنْزِيلُ اللَّطِيفَةِ الرَّوحَانِيَّةِ
 مِنْ سَمَاءِ الْحَرِّيَّةِ لِتَقْوَمَ بِالْخِلَافَةِ فِي هَذَا الْبَدَنِ عَلَى مُقْتَضَى الْعُبُودِيَّةِ
 فَبَعْدَ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ عَلَى كُرْهِ حَسْبَمَا يَفْتَضِيهِ فِرَاقُ الْوَطَنِ وَمَا كَانَتْ
 عَلَيْهِ أَيْدِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَخَصَّهَا بِمُخَصَّصَاتٍ كَانَتْ
 مَقْصُورَةً عَلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أُسْجِدَ لَهَا الْمَلَأْتِكَةَ، فَهِيَ إِلَى الْآتِ
 حَافَةٌ مِنْ حَوْلِهِ، فَمِنْهَا نَسَا كِنَةٌ فِي بَدَنِهِ، وَمِنْهَا خَارِجَةٌ عَلَيْهِ، أَلَا تَرَى
 أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي حَالَةِ النَّوْمِ وَالْأَنْفَاسِ تَجْرِي مَجْرَاهَا، وَالِدَّمَاءُ تَسْلُكُ
 مَسْلَكَهَا، وَحَرَكَةُ الْعُرُوقِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ آثَارِ
 الْمَوْكَلِينَ بِهِ، وَمِنْهُمْ سَكَّانُ الْقُوَّةِ الْفِكْرِيَّةِ، وَسَكَّانُ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْبَصِيرَةِ

وَالسَّمْعِيَّةِ. وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ، وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ، وَكُلُّ هَذَا
 مِنْ آثَارِ السُّجُودِ لِآدَمَ، وَأَنَّ امْتِنَاعَ الشَّيْطَانِ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ لِمَا
 تَقْتَضِيهِ حَقِيقَةُ النَّارِيَّةِ الْمُسْتَمِدَّةِ مِنْهَا الْقُوَّةَ الْغَضَبِيَّةَ وَالطَّبِيعِيَّةَ فَهِيَ
 مَالِكَةٌ بِالطَّبِيعِ لَا تَتَّطَوِّي تَحْتَ الْقُوَّةِ التَّرَابِيَّةِ، وَلِهَذَا مَجَّدَ الْإِنْسَانَ كَيْفَمَا
 كَانَ إِلَّا وَالْغَضَبُ يَسْتَفِرُّهُ، وَجَاءَ فِي الْخَبْرِ أَنَّ الْغَضَبَ شَيْطَانٌ وَأَمَّا
 مَقَرُّ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَطْيِيرُهُ مَسْبُوبَةٌ الْإِنْسَانِ، فَهِيَ جَنَّةٌ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ
 يَشَاءُ، بِحَيْثُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَلَمَّا اسْتَعْمَلَتْ فِيهِ الْغَرِيزَةَ الشَّهْوَانِيَّةَ
 وَاسْتَحَكَمَتْ مِنْهُ الْقُوَّةَ النَّارِيَّةَ الَّتِي هِيَ حَقِيقَةُ الشَّيْطَانِ دَعَتْهُ إِلَى
 شَجَرَةِ الْمُخَالَفَةِ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَأَهْبَطَهُ اللَّهُ إِلَى دَرَكَةِ التَّكْلِيفِ، وَحَصَلَ
 بَيْنَ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ عَدَاوَةٌ أَبَدِيَّةٌ، فَمَنْ كَانَ تَعَلُّقُهُ بِالْقُوَّةِ
 الْعَقْلِيَّةِ كَانَ مَقَرُّهُ الْحَضْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ الْمَشَارِكَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «مَنْ اجْتَبَاهُ
 رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى، وَمَنْ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ تَعَالَى: «نُوَلِّهِ
 مَا تَوَلَّى».

لِسَانَ الرُّوحِ: يَعْتَبِرُ مِنْ آدَمَ اللَّطِيفَةَ الْإِلَهِيَّةَ الْمُتَرَلَّةَ مِنْ

سَمَاءِ الْحَرِّيَّةِ إِلَى أَرْضِ الْعُبُودِيَّةِ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْكَمَالِيَّةِ
عَلَى مُقْتَضَى أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، خِطَابٌ مِنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ
الْأَقْدَسِيَّةِ إِلَى السَّمَاءِ الْأَرْزَلِيَّةِ ، فَأَجَابَ الْعَدْلُ بِلِسَانِ الْمُتَكَلِّمِ قَائِلًا :
أَجْعَلُ فِي أَرْضِ الْعُبُودِيَّةِ مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ مُسْتَفْهِمًا
عَمَّا تَقْتَضِيهِ الْإِرَادَةُ الْأَرْزَلِيَّةُ وَالْحِكْمَةُ الْأَبَدِيَّةُ ، وَكَانَ الْعَالِمُ أَحْوَجُ
بِالْجُزْئِيَّاتِ فَضْلًا عَنِ الْكُلِّيَّاتِ ، قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَرَجِعَتْ
الْأَسْمَاءُ لِصِفَاتِهَا ، وَالصِّفَاتُ لِذَاتِهَا قَائِلَةً : لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يُسْأَلُونَ .

التفسير : فَبَعْدَ مَا انْتَهَتْ حِكَايَةُ مَا جَرَى بَيْنَهُ تَعَالَى وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ
وَأِبْلِيسَ ، وَأَخَذَ مِنْهَا كُلُّ عَالٍ قَدْرَ مَشْرُوبِهِ ، شَرَعَ فِي ذِكْرِ مَا جَرَى
بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ فَقَالَ : « وَقُلْنَا يَا آدَمُ » هُوَ أَبُو الْبَشَرِ « أَسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ » حَوَاءَ « الْجَنَّةَ وَكَلَامِ مِنْهَا » أَيُّ مِنْ ثَمَارِهَا « رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا » أَيُّ أَكُلْ وَسِعَ وَرَفَاهِيَّةِ « وَلَا تَقْرُبَا هَذِهِ الشَّجْرَةَ
فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ » لِأَنَّهُمْ بَارْتَكَبَا كَمَا الْمُنْهَى عَنْهُ ، ثُمَّ أَنَّهُ

اخْتَلَفَ فِي الشَّجَرَةِ مَا هِيَ؟ هَلْ هِيَ الْحِنْطَةُ أَمْ اللَّيْنُ أَمْ غَيْرُ ذَلِكَ؟ وَلَيْسَ
 تَحْتَ الْإِخْتِلَافِ طَائِلٌ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ ثُبُوتُ النَّهْيِ عَنْهَا «فَأَزَلَّهُمَا
 الشَّيْطَانُ عَنْهَا» مِنْ زَلُّ الْقَدَمِ حَرَكَتُهُ فَحَرَّكَهُمَا إِلَى أَنْ أَوْضَعَهُمَا
 فِي الْمَخَالَفَةِ «فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانُ فِيهِ» مِنَ النَّعِيمِ «وَقُلْنَا
 اهْبِطُوا» الضَّمِيرُ يَشْمَلُ حَوَاءَ وَآدَمَ وَالشَّيْطَانَ «بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
 عَدُوٌّ» فَبِذَلِكَ انْتَشَرَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنَ الصِّنْفَيْنِ الْإِنْسِ وَالشَّيَاطِينِ
 إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَالْبَعْضِيَّةُ رَاجِعَةٌ لِذَرِيَّاتِ الْفَرِيقَيْنِ. الْبَعْضُ يَتَوَارَثُ
 وَالْحُبُّ مِثْلُهُ «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسَاقِفٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» مِنْ
 الدَّهْرِ، أَيُّ مَدَّةٍ يَنْقُضِي فِيهَا أَجْلَكُمْ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ «فَتَلَقَى
 آدَمُ مِنْ رَبِّهِ» دُونَ حَوَاءَ وَإِبْلِيسَ «كَلِمَاتٍ» وَهِيَ قَوْلُهُ رَبَّنَا
 ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ،
 «فَتَابَ عَلَيْهِ» وَعَلَى حَوَاءَ بِالتَّبَعِيَّةِ «إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ»
 ثُمَّ أَلَى تَعَالَى بِمَا فِيهِ تَكَرَّرَ لِبَنَاتِ كَيْدٍ، وَلِيَرْتَبَّ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَقَالَ:
 «فَلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا» أَيُّ مِنَ الْجَنَّةِ «جَمِيعًا» حَتَّى لَا يَتَوَهَّمُ

أَنَّهُ أَهْبَطَ الشَّيْطَانَ دُونَ آدَمَ وَحَوَّاءَ لَمَّا وَقَعَتْ مِنْهُمَا التَّوْبَةُ «فَإِمَّا
 يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى» أَيُّ مِنَ التَّنْصِيصِ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَايَةِ، عَلَى
 لِسَانِ مَلَأْ تِكْتِهِ أَوْ رُسُلِ الْبَشَرِ «فَمَنْ تَبِعَ» مِنْكُمْ «هُدَايَ» أَيُّ
 تِلْكَ الطَّرِيقَةَ الْمَرْسُومَةَ «فَلَاخَوْفَ عَلَيْهِمْ» فِي الْآخِرَةِ «وَلَا
 هُمْ يَحْزَنُونَ» فِي الدُّنْيَا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْمَوْافَقَةِ قَبْلَ التَّوْبَةِ
 «وَالَّذِينَ كَفَرُوا» مِنْكُمْ أَوْ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ «وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ثُمَّ أَقُولُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَتَعَرَّضْ لِبَيَانِ
 الْجَنَّةِ الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ، هَلْ هِيَ فِي الْأَرْضِ، وَبِهِ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ
 الْبَلْخِي وَأَبُو سَلِيمٍ الْأَصْبَهَانِي وَغَيْرُهُمَا. ذَكَرَ الْفَخْرُ الرَّازِي وَعَلَى
 فَرَضِ أَنَّهَا فِي السَّمَاءِ، فَهَلْ هِيَ دَارُ الْخُلْدِ أَمْ أَحَدُ الْأَجْرَامِ الْعُلُويَّاتِ
 وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالدَّلِيلُ أَرْجَحُ فِي كَوْنِهَا لَيْسَتْ هِيَ الْجَنَّةُ الْمَدْحَرَةُ بَعْدَ
 الْمَوْتِ لِوُجُودِهَا، مِنْهَا أَنَّ نَعِيمَ جَنَّةِ الْخُلْدِ غَيْرُ مَنْقَطِعٍ، وَهَذِهِ انْقَطَعَ
 نَعِيمُهَا. الثَّانِي: أَنَّ نَعِيمَهَا غَيْرُ مَقِيدٍ بِشَجَرَةٍ دُونَ الْأُخْرَى، وَهَذِهِ
 مَقِيدٌ نَعِيمُهَا. الثَّلَاثُ: أَنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَى الشَّيْطَانِ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ كُلِّ

الْوُجُوهِ، وَهَذِهِ دَخَلَهَا. الرَّابِعُ: إِنَّهَا لَوُكَّانَتْ جَنَّةَ الْخُلْدِ لِمَا صَحَّ لِلشَّيْطَانِ
 أَنْ يُشَوِّشَ عَلَى آدَمَ بِمَوْلَاهِ: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لِأَيُّبَى
 وَالْحَالَةَ أَنَّهُ فِيهَا. الْخَامِسُ: أَنَّ دَارَ الْخُلْدِ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهَا، وَهَذِهِ
 عَصَى آدَمَ فِيهَا. السَّادِسُ: أَنَّهَا لَا يَحْصُلُ فِيهَا حُزْنٌ، وَهَذِهِ قَدْ حَصَلَ
 لِآدَمَ مِنَ الْحُزْنِ مَا لِلَّهِ أَعْلَمُ بِهِ. السَّابِعُ: أَنَّهُ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي
 جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، وَلَمْ يَقُلْ فِي السَّمَاءِ، وَلَا فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى.
 الثَّامِنُ: إِنَّ وَسْوَسةَ الشَّيْطَانِ كَانَتْ لِآدَمَ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَهُ تَعَالَى:
 اهْبِطْ مِنْهَا، فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا، فَكَيْفَ يُسَوِّغُ لَهُ الرَّبُّ إِلَى
 جَنَّةٍ سَقَفَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ مَا حَلَّ لَهُ مِنَ الطَّرْدِ. التَّاسِعُ: أَنَّ
 خَلْقَةَ آدَمَ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ وَمِنَ الْأَرْضِ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْهُ أَنَّهُ أُعْرِجَ
 بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَمَّا الْهَبُوطُ فَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ
 تَعَالَى: اهْبِطُوا مِصْرًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالْأَحْوَابُ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ آدَمَ
 كَانَ فِي مَحَلٍّ يُسَمَّى بِالْجَنَّةِ، بِدُونِ تَعْيِينِ، وَأَمَّا تَصَوُّرُ الْمُعْصِيَةِ فِي
 حَقِّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ فِي مَحَلِّ التَّرَاعِ، فَهَلْ هِيَ كَانَتْ قَبْلَ

نُبُوَّتِهِ أَوْ بَعْدَهَا، وَهَلْ هِيَ صَغِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةٌ، وَهَلْ صَدَرَتْ مِنْهُ عَمْدًا
 أَوْ اسْتِغْفَالًا. وَالطَّرْقُ فِي ذَلِكَ تَشَعُّبٌ، وَالْمَسَالِكُ تَوَعَّرَتْ بَيْنَ
 الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ، وَفِي كِلَا الْوَجْهَيْنِ ضَرَرٌ، لِأَنَّ الْإِثْبَاتَ لِمُخَالَفَةِ
 الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَقْضِي بِإِنْخِلَالِ عَقْدِ الشَّرَائِعِ، لِأَنَّهُمْ أَمْنَاءُ عَلَى
 أَسْرَارِ الْوَحْيِ، وَإِذَا ثَبَّتَ الْخِيَانَةَ فِي شَيْءٍ سَرَتْ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَهَذَا
 لَا يَخْفَى ضَرُورَةً وَهُوَ الْإِثْبَاتُ، وَأَمَّا النَّفْيُ لَا يَبْعُدُ ضَرَرًا مِنْهُ، لِمَا فِيهِ
 مِنْ رَدِّ النَّصُوصِ الصَّرِيحَةِ، كَقَوْلِهِ: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ. وَعَلَيْهِ فَلَمْ
 يَبْقَ لَنَا إِلَّا التَّائِبُ وَيْلُ الْحَسَنِ مَهْمَا وَفَقِنَا اللَّهَ إِلَيْهِ، فَأَقُولُ أَنَّ آدَمَ
 عِنْدَ النَّفْخِ فِيهِ فِي أَوَّلِ خَلْقَتِهِ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعِدًّا كُلَّ الْإِسْتِعْدَادِ وَلَنْ
 يَسْتَكْمَلَ قَوَاهُ الْعَقْلِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ إِلَّا شَيْئًا فَشَيْئًا، كَمَا هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ
 فِي خَلْقِهِ، وَمَا أَسْكَنَهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ إِلَّا لِئَلَّا يَكْمَلَ قَوَاهُ الْحُسْنِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ
 وَنَهَيْهُ تَعَالَى لَهُ عَنِ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ كَانَ نَهْيٌ حَمِيَّةً وَشَفَقَةً
 كَمَا يَحْتَمَى الْمَرِيضُ عَنِ الْأَكْلِ بِوَأَسِطَةِ الطَّبِيبِ، عَمَّا لَا يُوَافِقُ طَبْعَهُ
 وَرَبَّمَا كَانَ طَعْمُ الشَّجَرَةِ ثَقِيلًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْدَتَهُمَا قَبْلَ الْإِسْتِعْدَادِ لَهُ

وَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدْتَهُ الْإِرَادَةُ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى اسْتِكْمَالِ
 الْقُوَّةِ وَوُجُودِ الْحِرْصِ فِيهِمَا، وَهِيَ دَلَالَةٌ تَنْبِيُّ عَنْ تَمَامِ اسْتِعْدَادِهِمَا
 لِلْقِيَامِ بِشُؤْنِهِمَا، وَلَوْ أَلْقَاهُمَا تَعَالَى فِي الْأَرْضِ قَبْلَ وُجُودِ الْأَهْلِيَّةِ مَعَ
 قَفَرَتِهَا لِاخْتَلَّ نِظَامُهُمَا. وَأَمَّا تَشْنِيعُهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا بِالْمَعْصِيَةِ حِكْمَتُهُ
 لِيَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ إِخْرَاجُهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَطَهَّرَ لِآدَمَ أَنْ إِخْرَاجَهُ
 مِنَ الْجَنَّةِ لَيْسَ هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ مَا يُضَرُّ بِعَقِيدَتِهِ
 وَلَمَّا أَثْبَتَ فِي نَظَرِهِ تِلْكَ الْمَخَالَفَةَ رَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ بِاللُّؤْمِ وَالْإِلْتِجَاءِ
 لِلَّهِ، وَفِيهَا أَيْضًا فَائِدَةٌ أُخْرَى وَهِيَ بَتُّ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ
 حَتَّى لَا يَأْمَنَهُ عِنْدَ مَقَرِّهِ عَلَى مَنْصِبِ الْخِلَافَةِ. وَبِالْجُمْلَةِ إِنَّ تَحْذِيرَ اللَّهِ
 لِآدَمَ مِنَ الشَّيْطَانِ كَانَ دَرْسًا بِالْفِعْلِ، وَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ فِي إِدْخَالِهِ
 الْجَنَّةَ وَإِخْرَاجِهِ مِنْهَا وَفِي مَا وَقَعَ لَهُ مَعَ إِبْلِيسَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الِاسْتِنْبَاطُ

يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَوْلِهِ: وَقُلْنَا يَا آدَمُ، إِلَى قَوْلِهِ: خَالِدُونَ، سَبْعَةٌ

أَحْكَامٌ:

الأول: عَلِمْنَا بِأَن اسْتَقَرَّ فِي مَحَلٍّ يُسَمَّى بِالْجَنَّةِ بَرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ فِي
 أَوَّلِ أَمْرِهِ، مِنْ قَوْلِهِ: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ»
الثاني: عَلِمْنَا بِأَن الْجَنَّةَ الَّتِي كَانَ فِيهَا لِحَقَّتْ فِيهَا بَعْضُ التَّكْلِيفِ
 مِنْ قَوْلِهِ: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» حَيْثُ عَبَّرَ بِالْقُرْبِ، فَيَكُونُ مَا أَكَلَهُ
 مَمْتَنَعًا مِنْ طَرِيقِ الْأَحْرُوبَةِ.

الرابع: (1) عَلِمْنَا بِأَنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لَهُ نَفُودٌ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا،
 وَقَبْلَ هَبُوطِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَإِلَّا لَمَا وَصَلَتْ وَسْوَستُهُ إِلَى آدَمَ وَهُوَ بِالْجَنَّةِ
 مِنْ قَوْلِهِ: «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا».

الخامس: عَلِمْنَا بِأَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ الْجَنَّةِ هُوَ غَيْرُ الْهَبُوطِ الَّتِي ذَكَرَهُ، وَلِهَذَا
 بَقِيَ يَدُ الشَّيْطَانَ فِي الْجَنَّةِ، مِنْ قَوْلِهِ: «فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ»
السادس: عَلِمْنَا بِأَنَّ الشَّيْطَانَ تَأَخَّرَ هَبُوطُهُ عَنْ خُرُوجِهِ مِنَ
 الْجَنَّةِ، حَتَّى أَهْبَطَهُ اللَّهُ مَعَ آدَمَ وَحَوَّاءَ، مِنْ قَوْلِهِ: «وَقُلْنَا اهْبِطُوا»
 حَيْثُ أُلْحِقَ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ.

(1) تنبيه: لَمْ يُذْكَرَ الْحُكْمُ الثَّلَاثُ نَظْرًا لِغَلَمِ وَرُودِهِ فِي النُّسخَةِ الْأَصْلِيَّةِ.

السَّابِعُ : عَلِمْنَا بِأَنَّ لِلشَّيْطَانِ فُرُوعًا وَأَبْنَاءً ، كَمَا لِآدَمَ ، مِنْ قَوْلِهِ :
«بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» .

الإِشَارَةُ

فِي قَوْلِهِ : «وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» حَيْثُ ذَكَرَهَا بِالْجِنْسِ ، وَلَمْ
يَذْكُرْهَا بِالنَّوْعِ تَفِيدُ وَجُوبَ التَّوْفِي وَالْإِحْتِرَازَ مِنْ كُلِّ مَشْتَبِهٍ ، فَضْلًا عَلَى
الْمُنْصُوصِ عَلَيْهِ بِالْمَنْعِ ، لِئَلَّا يَكُونَ دَخَلًا تَحْتَ الْجِنْسِ ، وَفِي تَعْيِيرِهِ عَنِ
الْأَكْلِ بِالْقُرْبِ كِفَايَةً ، فَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْجَمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .

لِسَانَ الرَّوحِ

يَقُولُ إِنَّ آدَمَ وَإِنْ أَسَاءَ فِي دَارِ الْإِحْسَانِ فَقَدْ أَحْسَنَ فِي
دَارِ الْإِسَاءَةِ ، لِيَعْلَمَ أَبْنَاؤُهُ أَحْتِمَالَ وَقُوعِ الشَّيْءِ فِي ضِدِّهِ ، حَتَّى
لَا يَأْمَنُ أَحَدُهُمْ مَعَ الْأَمْنِ ، وَلَا يَبْأَسُ مَعَ الْخِذْلَانِ .

التَّفْسِيرُ

ثُمَّ بَعْدَ تَوْجِيهِهِ الْخِطَابَ لِعُمُومِ الْمُكَلِّفِينَ لَوْنِ الْعِبَارَةِ تَعَالَى
وَاسْتَلْفَتِ الْخِطَابَ لِطَائِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ ، كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مَوَاصِلَةٌ ،